

عقربة شافيز

إن الرئيس شافيز قدم أمام البرلمنت بفنزويلا تقرير الأعمال التي تم القيام بها في عام 2011 و البرنامج الذي سينفذ بهذا العام. بعد أداء كل المتطلبات الشكلية التي تقتضيها هذه الفعالية المهمة، خطب بالمجلس للسلطات الرسمية بالدولة لنواب مختلف الأحزاب و للأنصار و الخصوم الذين يجمعهم البلد في أوقر نشاطه.

كان الزعيم البوليفاري لطيفا و يتصرف باحترام تجاه كافة الحاضرين، كالعادة. إذا كان أحد ما يطلب منه الكلمة للإشارة إلى أي توضيح، كان يمنح له هذه الإمكانية فورا. عندما طلبت الكلمة نائبة و كانت قد سلمت عليه بلطف، مثل الخصوم الآخرين، قطع شافيز قراءة تقريره و أعطاه الكلمة ببادرة راقية جدا من الناحية السياسية. و قد لفت أنظاري القساوة البالغة التي أنتهزت بها الرئيس ، مستخدمة عبارات جريت مروءته و صبره الشديد. ذلك الأمر كان يشكل إهانة لا يرقى إليها الشك، و لو لم يكن ذلك الأمر مقصودا من قبل النائبة. كان هو الآخر فقط قادرا على الإجابة بهدوء على وصفه المهين "كلص"، الذي استخدمته للحكم على تصرف الرئيس أثناء اتخاذ عدد من الإجراءات و القوانين.

بعدها تأكد من المصطلح الدقيق المستخدم، أجاب للطلب الفردي بإجراء حوار بواسطة عبارة أنيقة و هادئة، "النسر لا يصطاد ذبانات" و دونما يضيف كلمة، واصل عرضه على مهله.

كان ذلك برهانا خارقا على دهائه و مرابطة الجأش. ثمة امرأة أخرى أصلها كادح دون شك، بكلمات مؤثرة و عميقة عبرت عن مفاجئتها لما شاهدته هناك ، مما أدى إلى تصفيق الأغلبية الساحقة من الحاضرين، و طبقا لطققتها، بدأ و كأنه كان يأتي من كافة أصدقاء الرئيس و من العديد من خصومه.

أكثر من 9 ساعات استغرق خطاب شافيز في تقديم تقرير أعماله السنوي (تصفية الحساب) دونما يتضاءل الاهتمام الذي تثيره كلامه، وربما نتيجة للحادث ، استمع إليه عدد من الأشخاص لا يحصى و لا يعد. بالنسبة إلي، و قد تعرضت لمسائل شائكة مرارا، بخطابات طويلة ، حيث كنت أبذل قصارى الجهود حتى تفهم الأفكار التي كنت أريد التعبير عنها، لا استطع أن أشرح لنفسي كيف استطاع ذلك الجندي، الذي أصله متواضع، أن يبقى بعقله الرشيق و حنكته التي لا مثيل لها، بغزارته الخطابية ، دونما ينطفئ الصوت و دون ما تنتقص قوته.

إن السياسة بالنسبة إلي هي المعركة الواسعة و الحازمة للأفكار. إن الذعاية تخص أصحابها ، الذين ربما يعرفون السبيل حتى يفعل المستمعون، المتفرجون و القراء ما يقال لهم. إذا كان مثل ذلك العلم، الفن او كيفما يطلق عليه، يستخدم لصالح خير البشر، لكان جديرا ببعض الاحترام؛ نفس الاحترام الذي يستحقونه الذين يعلمون الناس عادة التفكير.

تخاص اليوم على المسرح فنزويلي معركة كبيرة. يفضل أعداء الثورة داخل و خارج البلد الفوضى و ليس تطور البلد بشكل عادل، منظم و سلمي، كما يقول شافيز. متعود على تحليل الأحداث التي جرت خلال أكثر من نصف قرن و على مشاهدة التاريخ المضطرب لعصرنا و التصرف البشري كل مرة بالمزيد من التطورات، المرء يتعلم تقريبا كيف يتنبأ بمجرى الأحداث بالمستقبل.

لم يكن هكذا سهلا تشجيع الثورة بفنزويلا، بلد دو تاريخ مجيد، و لكنه غنيء للغاية بالموارد الحيوية الضرورية للدول العظمى الامبريالية التي رسمت و لا تزال نماذج بالعالم.

زعماء سياسيون مثل رومولو بيتانكورت و كارلوس أندريس بيريز، كان ينقصهم أدنى مميزات شخصية للقيام بهذه المهمة. علاوة على ذلك، كان الأول منافق و يتصف بمنتهى الغرور. توفرت عنده من الفرص بما فيها الزيادة لمعرفة الواقع الفنزويلي. خلال شبابه كان قد أصبح عضوا بالحزب الشيوعي لكوستا ريكا. كان يعرف بشكل جيد جدا تاريخ أمريكا اللاتينية و الدور الذي تلعبه الامبريالية، معدلات الفقر و النهب بلا رحمة للموارد الطبيعية للقارة . لم يكن يستطيع أن يتجاهل أنه بلد غنيء للغاية مثل فنزويلا كانت أغلبية الشعب يعيش بالفقر المدقع. إن الوثائق الفيلمية محفوظة بالأرشيفات و هي بمثابة البرهان القاطع عن تلك الحقائق.

مثلما شرح شافيز مرارا، كانت فنزويلا خلال أكثر من نصف قرن أكبر مصدر للبترول بالعالم؛ تدخلت سفن حربية أوروبية و يانكية في مطلع القرن العشرين لتأييد حكومة غير شرعية و طغيانية سلمت البلد للاحتكارات الأجنبية . من المعلوم بشكل جيد أن هناك كميات لا تحصى و لا تعد من الأموال خرجت من البلد و أصبحت ملكا للاحتكارات و لحكومة الأقلية الفنزويلية نفسها.

يكفي لي أن أتذكر أنه لما زرت فنزويلا لأول مرة ، بعد انتصار الثورة، حتى أشكر لهم لتعاطفهم و مساندتهم لنضالنا ، كان سعر برميل البترول دولرين فقط.

و عندما سافرت فيما بعد لحضور الاستيلاء على السلطة من قبل شافيز ، باليوم الذي أقسم على "الدستور المحتضر"، الذي كان يمسكه كالديراس، كان سعر مرميل البترول 7 دولارات، رغم مرور 40 سنة على الزيارة الأولى و تقريبا 30 منذ أن أدلى "صاحب الفضل" ريشارد نيكسون بتصريحات ، حيث أعلن عدم تطابق الدولار بالذهب من ذلك الوقت فصاعدا و بدأت الولايات المتحدة تشتري العالم بالأوراق . خلال قرن كانت الأمة تزود بالوقود الرخيص اقتصاد الإمبراطورية و كانت مصدرة صافية للرأسمال نحو البلدان المتطورة و الغنية.

لماذا سادت خلال أكثر من قرن هذه الحقائق المثيرة للإشمئزاز؟

كان لدى ضباط القوات المسلحة بأمريكا اللاتينية مدارس ذات الامتياز في الولايات المتحدة ، حيث كانوا يربون الأبطال الأولمبيين للديمقراطيات بدورات خاصة ترمي إلى الحفاظ على النظام الامبريالي و البرجوازي. و كانت الانقلابات مرحبة بها كلما تهدف "الدفاع عن الديمقراطية"، أي لضمان بقاء مثل هذا النظام المثير للإشمئزاز ، بالتحالف مع حكومات الأقليات ؛ إذا كان المنتخبون يعرفون القراءة و الكتابة، إذا كانت لديهم أو ليست لديهم مساكن، شغل، خدمات طبية و تربوية، كل هذه الأمور لم تكن لديها أهمية طالما يبقى الحق المقدس في الملكية قائما.

يشرح شافيز هذه الحقائق بشكل بارع لا أحد يعلم مثله ماذا كان يحدث في بلدنا.

والأمر الذي كان حتى أسوأ من ذلك، الطابع المتطور للأسلحة، تعقيدات استغلال و استخدام الأسلحة الحديثة، و هذا ما يتطلب سنوات من التعلم و التمرين و التدريب، و تكوين الإخصائين المهرة، و الأسعار الباهظة للأسلحة مقابل الاقتصاديات الضعيفة لبلدان القارة، كل هذه الأمور كانت تؤدي إلى آلية عليا للخضوع و التبعية. إن حكومة الولايات المتحدة بواسطة آليات ، حيث لا يتم استشارة حتى الحكومات، كانت تضع النماذج و تحسم السياسات للعساكر. كانت تنقل أحدث تقنيات التعذيب إلى المسماة هيئات الأمن لاستجواب الذين يتمردون ضد نظام الجوع و الاستغلال و هو مثير للإشمئزاز و قذر.

رغم ذلك، ليس قليلا عدد الضباط الشرفاء ، المستائين لكل هذا العار، الذين حاولوا بشجاعة وضع حد لتلك الخيانة المخجلة لتاريخ نضالاتنا و هذا في سبيل الاستقلال.

في الأرجنتين، هوان دومينغو بيرون، ضابط بالجيش، كان قادرا على تخطيط سياسة مستقلة جدورها عمالية ببلده. اسقطه انقلاب عسكري دموي طرده من بلده و جعله منفيا من عام 1955 إلى عام 1973. فيما بعد، تحت رعاية اليانكيين، هاجموا على السلطة مجددا، و قد تم قتل، تعذيب و اندثار عشرات الآلاف من الأرجنتيين و لم يكونوا حتى قادرين على الدفاع عن البلد خلال الحرب الاستعمارية التي شنتها انكلترا ضد الأرجنتين بتأييد و تواطؤ الولايات المتحدة و المأجور أوغوستو بينوشيت، مع مجموعة من الضباط الفاشيين الذين تم تكوينهم في مدرسة الأمريكتين.

بسانتو دومينغو، العقيد فرانسيسكو كامانيو دانيو؛ بالبيرو العميد فيلاسكو ألفارادو ، بياناما، العميد عمر توريهوس؛ و ببلدان أخرى ضباط و نقيب ضحوا بحياتهم، بشكل مجهول، و كانوا نقيض التصرفات الخيانية لسوموثا، تروهييو، سترواسنر، و النظم الطغيبانية الدموية باوروغواي، إل سافادور، و ببلدان أخرى بأمريكا الوسطى و الجنوبية. لم يعبر العساكر الثوريون عن وجهات نظرهم نظريا بتفاصيلها، و لم يكن يحق لأي واحد أن يطالبهم بذلك، لأنهم لم يكونوا أكاديميين بتربية سياسية، بل و إنما كانوا رجالا لديهم الإحساس بالشرف و كانوا يحبون بلدهم.

و مع ذلك، ينبغي علينا أن نرى إلى أين يستطيعون أن يصلوا بدروب الثورة رجال لديهم اتجاهات شريفة و أمينة، و يشجبون الإجحاف و الجريمة.

تمثل فنزويلا مثلا ساطعا للدور النظري و العملي الذي يمكن أن يتولاه عساكر ثوريون بالنضال من أجل استقلال شعوبنا، مثلما فعلوا ذلك منذ قرنين تحت القيادة العبقرية لسيمون بوليفار .

إن شافيز، و هو عسكري فنزويلي ، أصله متواضع، يقتحم الحياة السياسية لفنزويلا مستلحما بأفكار محرر القارة الأمريكية. كتب مارتني حول بوليفار، مصدر استلحام لا ينفد، : " انتصر بمعارك سامية مع جنود حافيين و شبه عاريين (...) لم يجر القتال بالعالم بمثل هذا المقدار أبدا و لا أفضل في سبيل الحرية..."

"... عن بوليفار- قال- يمكن الحديث معتمدا على جبل كمنصة (...) أو مع حزمة من الشعوب في قبضة اليد..."

"... ما لم يفعله ما زال غير مفعول إلى حد اليوم، لأنهما زال ينبغي على بوليفار العمل إلى حد الآن في القارة الأمريكية."

بعد أكثر من نصف قرن ، الشاعر بابلو نيرودا كتب شعرا حول بوليفار يكرره باستمرار شافيز. في القطعة الأخيرة القصيدة
ت قول:

" أنا تعرفت على بوليفار في صباح طويل،

بمدريد، بفوهة الفرقة الخامسة،

أيها الأب، قلت له، هل هذا أنت أو لست أنت أو من أنت؟

و مضطلعا على ثكنة الجبل، قال:

"أستيقظ كل مائة سنة لما يستيقظ الشعب."

ولكن، لا يقتصر الزعيم البوليفاري على وضع النظريات. إجراءاته المحددة لا تجعلنا ننتظر كثيرا

إن البلدان الكاريبية المتحدثة باللغة الانكليزية، التي كانت تتنازع معها سفن يانكية حديثة و ترفة على استقبال سياح بفنادقها، بمطاعمها و بالمراكز الترفيهية التي هي ملكيتها في حالات ليست قليلة، ستشكر دائما لفنزويلا على الوقود المزود من قبل ذلك البلد بتسهيلات خاصة بالدفع، لما أصبحت أسعار اليرميل تتجاوز أحيانا 100 دولار.

الوطن الصغير لنيكاراغوا، وطن ساندينو، "عميد الأحرار"، حيث المخبرات المركزية، من خلال بوسادا كاريليس، بعد إخراجها من سجن فنزويلي، نظم مقايضة الأسلحة بالمخدرات، مما أدى إلى خسارة آلاف من

الأرواح البشرية و إلى أعداد كبيرة من المبتورين من أبناء ذلك الشعب الباسل. تلقى هذا البلد أيضا التأييد التضامني من فنزويلا.

إنها أمثلة لا سابقة لها في تاريخ هذا النصف من الكرة الأرضية.

إن المعاهدة المتهاكمة للتجارة الحرة، التي يحاول اليانكيون فرضها على أمريكا اللاتينية، مثلما فعلت مع المكسيك، كان من شأنها أن تؤدي ليس فحسب إلى المنطقة بالعالم حيث الثروات موزعة بشكل أسوأ، و قد أصبحت هكذا، بل و إنما كذلك تحويلها إلى سوق هائل حيث حتى الذرة و أغذية أخرى تشكل مصادر تاريخية للبروتينات النباتية و الحيوانية ستم إزاحتها بمزروعات مدعومة من قبل الولايات المتحدة، مثلما أصبح يحدث

الآن بالأراضي المكسيكية.

إن السيارات المستخدمة و خيرات أخرى أصبحت تزيح منتجات الصناعة المكسيكية؛ تخسر المدن و القرى قدرتها على التشغيل، تزداد تجارة المخدرات و الأسلحة، يتم تحويل الشباب الذين هم ما زالوا تقريبا مراهقين، أعمارهم لا تتجاوز بالكاد 14 أو 15 سنة، إلى مجرمين مربعين. أبدا لم تتم رؤية حافلة أو سيارات أخرى مزدحمة بالسكان، و حيث تم الدفع لنقل الأشخاص إلى الجهة الأخرى من الحدود، بحثا عن العمل و يجري اختطافهم و تصفيتهم الجماعية. الإحصائيات المعروفة تزداد سنويا. أصبح أكثر من 10000 شخص الذين يخسرون أرواحهم سنويا.

ليس من الممكن تحليل الثورة البوليفارية دونما يؤخذ بالحسبان هذه الوقائع.

ترى القوات المسلحة بمثل هذه الظروف الاجتماعية، مضطرة على خوض حروب استنزافية لا نهاية لها.

إن هوندوراس ليس بلدا متصنعا، أو ماليا أو تجاريا، و ليس حتى منتج المخدرات، و مع ذلك، بعض المدن تضرب الرقم القياسي بعدد الموتى نتيجة للتعاطي بالمخدرات. بالمقابل، هناك ترفرف راية قاعدة مهمة للقوات الإستراتيجية بالقيادة الجنوبية في الولايات المتحدة. ما يحصل هناك، و أصبح ما زال يحصل بأكثر من بلد لاتينوأمركي، هو الصورة المرعبة، الدائنية، التي بدأ بعض البلدان تخرج منها، بينها، و بالمقام الأول، فنزويلا، و لكن، ليس فقط لأنها لديها موارد طبيعية هائلة، بل و إنما لأنها انقذتها من الجشع النهيم للشركات الأجنبية العابرة للحدود و أطلقت قوى سياسية و اجتماعية جديدة بالاعتبار قادرة على تحقيق إنجازات كبيرة. أصبحت فنزويلا اليوم مختلفة تماما عن التي تعرفت عليها منذ 12 سنة فقط، و منذ ذلك الحين أثرت علي عميقا، عندما رأيت كيف تبعث من الرماد التاريخية كالنعناء.

تلميحا إلى الحاسوب السري لراؤول ريبس، بأيدي الولايات المتحدة و المخبرات المركزية، انطلاقا من الهجوم الذي نظم من قبلهم و هم الذين وفروا المستلزمات للقيام بذلك، بأحضان الأراضي الإكوادورية، حيث قتل وكيل مارولاندا و بعض الشباب اللاتينوأمركيين المجردين من السلاح، قد روجوا الفكرة بأن شافيز كان يؤيد "المنظمة الإرهابية المرتبطة بتجارة المخدرات فارك(القوات المسلحة الثورية الكولومبية)". إن الإرهابيين الحقيقيين المرتبطين بتجارة المخدرات قد كانت القوات شبه العسكرية، الذين كانوا يزودون الأمريكان بالمخدرات، التي تنباع بأكثر سوق للمخدرات بالعالم: الولايات المتحدة.

ما تحدثت أبدا مع مارولاندا، و لكنني تحدثت مع كتاب و مثقفين شرفاء و أمناء تعرفوا عليه بشكل جيد. حللت تاريخه و أفكاره. كان، بلا شك، رجلا شجاعا و ثوريا، و أوكد على ذلك دون تردد. شرحت أنني لم ألتق و إياه بمفهومي التكتيكي. حسب وجهة نظري،

كان فكمف ألففن رفل أو ثلاثة آلاف لإلحاق هزفمة بالففش النظامف الفقلفدف بكولومففا. كان خطئه الفمسلك بفكرة إفامة ففش ثورف مسلح عدد فنوده فساوف تقرفبا عدد فنود خصومه. كان ذلك مكلفا للفاة و كان من المسففل ضمفنا الفعامل بذلك، فحول إلى مسفلل.

الفوم، فف فففر الففنولوجفا بمفالات عففدة من الحرب. فففر كذلك طرق النضال. بالفاقل، المواجهة ما بفن الفوف الفقلففة للءول العظمف الفف فملك السلاح النووي، أصبحت مسفلللا. لفس هناك حاجة إلى فوفر المعلومات الفف كان فعرفها ألبفر إنسففن أو سفففن هوكنفغ و آلاف العلماء الآخرفن، لفهم ذلك. إن الخطر كامن و الفففة معروفة سلفا أو فبنفغ معرففها. ربما سففآخر الإنسان المفلر و العاقل ملايين من السنواف فف ففطن المعمورة مرة أخرى.

رغم كل شفة، أءعم و أوكد على وابع فوض النضال، و هو أمر فلفف و فطرف عند الإنسان، أف الفف فحلول فمسلح له فوؤو أعقل و بالمزفء من الكرامة.

منذ ما فعرفر على شاففر، وكان فف أصبح برئاسة فنزوبلا، بأواخر فكومة باسفرانا، ءائما رأفئه مهفما بالسلام فف كولومففا و أفسر الاجتماعات ما بفن الفكومة و الفوار الكولومفففن، الفف انعءفء بكوبا، لففهم بشكل ففء، من أجل ففقق اففاقفة ففففة للسلام و لفس للاستسلام.

لا أءذكر أنف سمعت شاففر فروف شفة آخر لم فكن السلام، و لم اسمعه فذكر راؤول ربفس. ءائما كنا ففعرض لمواضع أخرى. هو فقدر الكولومفففن بشكل خاص؛ فسكن الملافن منهم بفنروللا، و الفمفع فسفففء بالإفراءات الاجتماعفة الفف ففخذها الفورة، و شعب كولومففا فقدره تقرفبا مفلما فقدره شعب ففنروللا.

أوء أن أعبر عن فضامنف و فففرف بالعمفء هنرف رانفل سللفا، فائء الففاة الإستراطففة العملفة للقوق المسلحة و الفف فم فعفنه مؤخراف كوزفر ففاع الفجمهورفة البولففارفة. ففشرفت بمعرففه عندما زار كوبا لرؤفة شاففر منذ أشهر عففدة .

اسفطعت أن أءرك أنه رفل ذكف و سلفف ، فاءر و فواضع بففس الوقت. اسفمعت إلى فطابه الهافف، الشفجاع و الواضح، الفف كان فءعو إلى الففة.

إنه الفائف الفف أءء و نظم أففن اسفعارض عسكرف رأفئه عند قوة عسكرفة لافنواأمرفكة ، و ففمنف أن فءم كموضع فشفجع و مثال فحظف به للففوش الشففقة.

لفس للففانكفن أف علاقة بهذا الاسفعارض و هم لفسوا فاءرفن على فنظم اسفعارض أفضل.

إنه بمثابة منفه الإففاف الففام باففقاء شاففر للموارد المسففرمة للففصول على الأسلحة الممفارة الفف فم اسفعارضها هناك. إنف فمأكد من أن هذه الأسلحة لن فسففرم أبءا للفرؤو على بلء شففق. فبنفغ على الأسلحة، الموارد و المعلومات أن فسفر بفروب الوءة لففوفن بالفارة الأمرفكة كما حلم بذلك المفرر: "... أكبر أمة بالفالم، لفس فحسب لسففها و ثروفها، بل و إنما، أكثر من ذلك، لفرففها و مفرها."

كل شفة فوؤءنا بالفولاف المفءة أكثر مما فوؤءنا بأوروباف ، باسففنا انءام الاسفقلال الفف فرصفه الولاف المفءة علفنا فلال 200 سنة.

ففءال كاسفرو روف
كانون الفائف/ ففافر 25 عام 2012
8:32 لفا

فارفخ:

25/01/2012